

المفارقة. وقد طور غوسدورف هذا الرأي في اتجاه آخر، من خلال رده على ف. لوجون قائلاً: إن البحث يقود إلى التأكيد بأن مصطلح السيرة الذاتية ظهر في منطقة جد محددة من الناحية الكرونولوجية، أي في النطاق الجرمانى ثم في المجال الفرنسى بعدها⁽¹⁾. من هنا يعتبر غوسدورف أن اللجوء إلى التاريخ والأنثروبولوجيا يمكن من تحديد السيرة الذاتية في لحظة ثقافية معينة، غير أنه من المهم أيضاً تحليل المؤسسة السير الذاتية في حد ذاتها، قصد إضاءة نواياها وتقدير إمكانيات نجاحها. ومن هذه الزاوية فإن مؤلف السيرة الذاتية يقدم سرود حياته الخاصة كمهمة للإنجاز، بل ويتعلق الأمر بالنسبة إليه بتجميع عناصر حياته الشخصية المتفرقة وترتيبها في خطاطة جامعة. وعلى هذا فإن السيرة الذاتية تعرض نفسها كبرنامج لإعادة بناء وحدة الحياة على امتداد الزمن. وعندما أقوم، كما يقول غوسدورف، بسرد حياتي «فإنني أختار الطريق الأبعد، ولكنه الطريق الذي يمثل مسار حياتي ويقودني، بكل يقين، إلى ذاتي» (ص 13).

والواقع أن السيرة الذاتية ليست مجرد استعادة للماضي كما جرى، لأن ذلك لن يقود إلا إلى الحديث عن عالم انقضى إلى الأبد، بل محاولة للبحث عن الذات من خلال تاريخها. وربما كان الجانب المهم في السيرة الذاتية هو الانسجام المنطقي والعقلانية، كما يقول غوسدورف. ولذلك فالسرد فيها هو الوعي، وبما أن وعي السارد هو الذي يقود السرد، فإن الوعي هو الذي يوجه الحياة. وقد عزز كوسدورف هذا الرأي بقوله: لا نستطيع الكتابة عن الذات بدون حد أدنى من التقدير الذي نوليه لأنفسنا، والذي يجعل منا شخصية/ مركزاً للعالم، ولو كان هذا العالم خلية عائلية⁽²⁾.

يعالج ف. لوجون⁽³⁾ في اتجاه آخر، السيرة الذاتية من الناحية الإجناسية. وهو يرى أن اختيار الموضوع، أي موضوع، ليس بريفاً، وبما أن الأجناس تعتبر مؤسسات اجتماعية، فإن عزل جنس معين وجعله موضوعاً للمعرفة، يعد مساهمة في المؤسسة، يمثل ما هو عمل علمي. وافترضه في ذلك أن الأجناس الأدبية ليست كائنات في حد ذاتها، بل لعلها تمثل، في كل مرحلة، نوعاً من السنن الضمني يمكن القراء من استقبال وتبويب المؤلفات القديمة والجديدة. والنسق الإجناسي، كباقي المؤسسات الاجتماعية، يخضع، كما يقول، للجمود (الذي يعمل على ضمان نوع من الاستمرارية المسهلة للتواصل) كما يخضع لقوة التغيير (فأدب ما، لا يضمن حياته إلا بالقدر الذي يحول أفق انتظار القراء).

1 - Les écritures du moi, Editions Odile Jacob, Paris 1991, p 65

2 - Auto-bio-graphic, Editions Odile Jacob, Paris 1991 p 226.

3 - Le pacte autobiographique, coll. Poétique, Editions du Seuil, Paris 1975, p 311.